

نفحات القرآن

[156] وقد أكدت الآية السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة على مسألة "السير في الأرض"، ودعت الناس إليه بأساليب خطابية مختلفة، فمرة خاطبتهم بـ: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) ومرة (فَإَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) بعد ما ذمتهم لعدم سيرهم في الأرض. وفي آيات أخر خُوطِبَ جميع الناس أو المسلمين بالقول: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَإَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ). وفي آية أخرى هناك دعوة للناس لأن يسيروا في الأرض للبحث عن بدء الخلق والاستفادة من ذلك للعلم بكيفية النشأة الآخرة. * * * وقد أكدت الآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة على مسألة المشاهدة و"الرؤية" ليس بالعين الباصرة، بل بعين القلب. إن الخطاب في الآيات الثلاث موجّهٌ إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أن المراد بها جميع المؤمنين، بل الناس كافة، والخطاب بصيغة استفهام تقريري، حيث خاطبه الله تارة بالنحو الآتي: ألم تر إلى الذي (أي نمرود ذلك السلطان الطاغوي المغرور) حاجّ إبراهيم في ربه، وإلى أيّ نهاية انتهى به المطاف؟ وتارة يخاطبه بهذا الخطاب: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ). وخاطبه تارة أخرى بنحو آخر قائلا له: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)، مذكّراً بقصة أصحاب الفيل القادمين من اليمن لهدم الكعبة فانزل الله عليهم طيوراً - بالرم من ضعفها - ترميهم بحجارة من سجي تحملها بمناقيرها فهلكوا بهذه الأحجار. ومن المسلم به أنّه لا الرسول ولا غيره من المسلمين رأى إبراهيم ونمرود